المحاضرة الأولى: مدخل إلى نظريات الشخصية والتحليل النفسي الفرويدي

- **مقدمة:**

تعتبر دراسة الشخصية في علم النفس من أكثر المجالات إثارة للجدل والبحث، فهي تسعى للإجابة على تساؤلات جوهرية حول ماهية الإنسان، وما الذي يجعله فريدا، وكيف يتشكل سلوكه عبر الزمن. تبدأ هذه المحاضرة بوضع حجر الأساس لفهم الشخصية من خلال استعراض المفاهيم الأساسية، ثم الغوص في أعماق أو مدرسة كبرى في علم النفس الحديث: مدرسة التحليل النفسي التي أسسها سيغموند فرويد، والتي أحدث ثورة في فهمنا للعقل البشري واللاشعور.

1. مفهوم الشخصية وأهمية دراستها:

تعرف الشخصية بأنها" التنظيم الدينامي في الفرد لتلك الأجهزة النفسية والفيزيقية التي تحدد طابعه الخاص في التوافق مع بيئته"(Allport,1961). إن دراسة الشخصية لا تهدف فقط لوصف السلوك، بل لتفسيره و التنبوء به (منصور،2019). تكمن أهمية نظريات الشخصية في أنها توفر إطارا مرجعيا للأخصائي النفسي لفهم الاضطرابات النفسية وتطوير استراتيجيات علاجية فعالة.

ويعرف أيضا:" هي ذلك التنظيم الدينامي في الفرد للأجهزة النفجسمية الذي يحدد طابعه الخاص في التوافق مع بيئته".

2. سيغموند فرويد والثورة التحليلية:

ولد سيغموند فرويد في عام (1856)، وبدأ حياته المهنية كطبيب أعصاب، من خلال ملاحظاته السريرية لمرضى الهستيريا، اكتشف أن الكثير من الأعراض الجسدية ليس لها أساس عضوي، بل هي نتاج صراعات نفسية مكبوتة في اللاشعور(سي موسي ،وبن خليفة،2010).

3. مستوى الوعي(النموذج الطبوغرافي):

يرى فرويد أن الشخصية محكومة بدوافع وغرائز لا شعورية(هريدي،2011)، تأثرت نظريته بخلفيته الشخصية، مثل علاقته القوية بوالدته ونظرته التشاؤمية للحياة، مما جعله يرى الشخصية بحاجة لضبط اجتماعي قوى(كفافي وآخرون،2010).وقسم فرويد العقل البشري إلى ثلاثة مستويات:

- **الشعور(Conscious):** يمثل كل ما ندركه في اللحظة الحالية من أفكار ومشاعر.
- **ما قبل الشعور(Preconscious):** يحتوى على الذكريات والمعلومات التي يمكن استدعاؤها بسهولة إلى الشعور.
- **اللاشعور(Unconscious):** هو الجزء الأكبر والأهم، يحتوي على الرغبات المكبوتة، الغرائز، والصراعات المؤلمة التي لا نستطيع مواجهتها مباشرة(Schultz,2020).

مثال: العصاب لدى الأفراد، حيث اعتقد أن جذور ا جنسية تعود للصراعات المكبوتة في اللاشعور، وهو ما عكس القيود الاجتماعية في عصره(فيينا في القرن التاسع عشر)

4. بنية الشخصية(النموذج البنائي):

يرى فرويد أن ما يظهر من الشخصية هو القمة فقط، بينما اللاشعور هو المحرك الفعلي(هريدي2011،ومنصور2019)، فهي تتكون من ثلاثة أنظمة تتفاعل وتتصارع باستمرار:

- **الهو(Id):** هو الجزء الفطري والبدائي، يعمل وفق"مبدأ اللذة" ويسعى للإشباع الفوري للغرائز (الجنس والعدوان) دون اعتبار للواقع أو الأخلاق.
  - "أريد ذلك الآن"(الغرائز)
- **الأنا(Ego):**هو الجزء العقلي الذي يتطور من الهو، يعمل وفق" مبدأ الواقع" ويسعي لإشباع رغبات الهو بطرق مقبولة اجتماعيا.
  - " لنتظر الوقت المناسب"(الواقع).
- **الأنا الأعلى(Superego):** يمثل الضمير والقيم الأخلاقية التي يمتصها الطفل من الوالدين والمجتمع، ويسعى للكمال بدلا من اللذة(Benny et al,2016).
  - "هذا خطأ أخلاقي"(المثالية)

مثال: موظف يشعر بغضب شديد تجاه مديره، "الهو" يدفعه للصراخ، "الأنا الأعلى" يمنعه لأن ذلك غير مهذب،" الأنا" تقرر كتابة رسالة مهنية توضح وجهة نظره.

5. ديناميات الشخصية والقلق:

يحدث القلق عندما يشعر الأنا بالتهديد من قبل رغبات الهو الجامحة أو توبيخ الأنا الأعلى الصارم، لمواجهة هذا القلق، يلجأ الأنا إلى آليات الدفاع النفسي مثل:

- **الكبت:** دفع الأفكار المؤلمة إلى اللاشعور.
- **الإسقاط:**نسبة عيوبنا ورغباتنا المرفوضة للآخرين.
- **التبرير:**إعطاء أسباب منطقية زائفة لسلوكيات غير مقبولة(Feist2010).

6. مراحل النمو الجنسي:

يرى فرويد أن الشخصية تتشكل بشكل أساسي في السنوات الخمس الأولى من خلال مراحل يتركز فيها النشاط الغريزي في مناطق معينة من الجسم:

- **المرحلة الفمية(Oral Stage):** السنة الأولى، التركيز على الفم(المص، والعض).
- **المرحلة الشرجية(Anal Stage):** (1-3 سنوات)، التركيز على التحكم والإخراج.
- **المرحلة القضيبية(Phallic Stage):** (3-6سنوات)، ظهور عقدة أوديب وإلكترا.
- **مرحلة الكمون(Latency Stage):** (6 سنوات حتى البلوغ)، هدوء الغرائز والتركيز على التعلم.
- **المرحلة التناسلية(Genital Stage):** البلوغ وما بعده، نضج العلاقات الجنسية والعاطفية (هريدي،2011).

- **خاتمة:**

لقد وضعت نظرية فرويد حجر الزاوية لفهم الشخصية من منظور دينامي، مؤكد على أننا لسنا دائما أسيادا في بيوتنا(عقولنا)، بل تحركنا قوى خفية في اللاشعور، ورغم الانتقادات الكبيرة التي وجهت

لفرويد بسبب تركيزه المفرط على الجنس، إلا إن مفاهيمه حول اللاشعور وآليات الدفاع لا تزال حية ومؤثرة في علم النفس الحديث.